الباب الأول

الفصـــــل الأول

العهـد المكـي

ويشتمل على :

١- النبي ﷺ في مكة .
٢- وفد قريش إلى أبي طالب .
٣- عودة الوفد إلى أبي طالب .
٤- إتخاذ قرار الإيذاء والتعذيب .
٥- إيذاء الرسول ﷺ .
٦- إيذاء أبو بكر الصديق .
٧- تعذيب المستضعفين من المسلمين .
١-بلال بن رباح الحبشي .
٢- عمار بن ياسر .
٣- خباب بن الأرت .
٤- صهيب بن سنان الرومي .
٥- عامر بن فهيرة .
٨- نهاية الفترة المكية ونجاح الرسول فيها .

١ ـ النبي صلى الله عليه وسلم في مكة

نشأ النبي ﷺ في مكة المكرمة بجوار الكعبة المشرفة بعيدا عن عبادة الأصنام والأوثان التي كان يتعبد بها قومه في مكة المكرمة فظل النبيﷺ يفكر ويقلب بصره في صفحات الكون وهو يقول:أن هذا الكون بما فيه من إبداع وجمال لا بد وأن يكون له خالق عظيم فلا اللات ولا العزى ولا مناة ولا هبل خَلَقْنَ هذا الكون.

ظل النبي ﷺ رافضا عبادة الأصنام مبتعدا عنها جالسا أكثر أوقاته في غار حراء حتى هبط عليه الوحي من الله تبارك وتعالى يبشره ويؤكد له كل ما كان يجول بخاطره.
اطمأن قلب النبي ﷺ عندما تيقن أن لهذا الكون خالقاً عظيماً ولا بد أن يكون مستحقا للعبادة بدلا من الأصنام والأوثان التي عششت في قلوب وعقول أهل مكة .

فبدأ النبي ﷺ ينفذ التعاليم الربانية بعد ما تأكد أنه بعث من قبل الخالق العظيم لينقذ البشرية من الفساد الذي حل بها فراح يدعو أهله وأقاربه وأصدقاءه إلى عبادة الله وحده لا شريك له وترك عبادة الأصنام والأوثان مُثْبَتاً لهم أن هذه الأصنام التي يعبدونها لا تنفع ولا تضر بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة .

بدأت الدعوة الإسلامية تأخذ لونا من ألوان الإزدهار والإنتشار والرسول ﷺ يدعو الناس ولا يبالي بما يحدث له طالما أن الدعوة

الإسلامية التي كلف بها ستنطلق وتلبس ثوبا جديدا وتظهر واضحة وضوح الشمس في وسط النهار.

ذيع الخبر في أرجاء مكة أن محمداً بن عبد الله بن عبد المطلب جاء بدين جديد وهذا الدين سوف يهدم ما عليه الناس من عبادة الأصنام والأوثان .

فبدأ عُبّادُ الأصنام والأوثان يتخذون أساليب مختلفة لمقاومة هذه الدعوة.حتى لا يقوم لها قائمة لكن هيهات لهم فسوف تنتشر الدعوة الإسلامية رغم أنفهم لأن الذي أراد لها الإنتشار والبقاء هو الخالق العظيم الذي يقول للشيء كن فيكون.إذن فلن تستطيع قريش مجابهة الدعوة الإسلامية مهما اتخذت من أساليب لمحاربتها.

"ظنَّ عُبّادُ الأصنام والأوثان أن صاحب هذه الدعوة من أمثال ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل.من الساخطين على الأصنام.الباحثين عن الحنيفية أو غيرها من الأديان الأخرى وإن كان يختلف عنهم في أنه يخبر أنه يتلقى الوحي من السماء"[1]

لكنهم ما لبثوا أن أدركوا أن الأمر أخطر مما تصوروا وأن محمدا يكتسب كل يوم أصحابا من رجالهم ومواليهم يتابعونه ويؤمنون به

---

(١) طبقات بن سعد جـ١ صـ١٨٤ بتصرف يسير

نبيا ورسولا.وأن هؤلاء الأصحاب ينشطون معه للدعوة لدينه الجديد[٢]

تفجرت مكة بمشاعر الغضب وماجت بالغرابة والإستنكار حين سمعت صوتا يجهر بتضليل المشركين وعُبَّاد الأصنام كأنه صاعقة فرعدت وبرقت وزلزلت الجو الهادئ وقامت قريش تستعد لحسم هذه الثورة التي اندلعت بغتة ويخشى أن تأتي على تقاليدها وموروثاتها.قامت لأنها عرفت أن معنى الإيمان ينفي الألوهية عما سوى الله تعالى ومعنى الإيمان بالرسالة وباليوم الآخر هو الإنقياد التام والتفويض المطلق بحيث لا يبقى لهم خيار في أنفسهم وأموالهم فضلاً عن غيرهم ومعنى ذلك انتفاء سيادتهم وكبريائهم على العرب التي كانت تصطبغ بالصبغة الدينية وامتناعهم عن تنفيذ مرضاتهم أمام مرضاة الله ورسوله وامتناعهم عن المظالم التي كانوا يقترفونها صباح مساء.عرفوا هذا فكانت نفوسهم تأبى عن قبول هذا الوضع.عرفوا كل ذلك جيدا ولكن ماذا سيفعلون أمام رجل صادق أمين يضرب أعلى مثل للقيم البشرية ومكارم الأخلاق.لم يعرفوا له مثيل أو نظير خلال فترة طويلة من تاريخ الآباء.ماذا يفعلون.؟ تحيروا في ذلك وحق لهم أن يتحيروا وبعد تلك الحيرة لم يجدوا سبيلا إلا أن يأتوا إلى عمه أبي طالب فيطلبوا منه أن يكف ابن

---

(٢) نفس المرجع السابق

أخيه عما هو فيه،لقد وجدوا هذا السبيل هو مخرجهم الوحيد مما هم فيه من حيرة فتسارعوا إلى هذا السبيل[٣]

٢- وفد قريش إلى أبي طالب

إجتمعت قريش على أن يذهب وفد منهم إلى أبي طالب يطلبون منه أن ينصح ابن أخيه بعدم تبليغ دينه الجديد في مكة وغيرها وعدم سب آلهتهم التي يعبدونها.

قال ابن إسحاق"مشى رجال من أشراف قريش إلى أبي طالب فقالوا يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آبائنا فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلي بيننا وبينه فإنك على مثل ما نحن عليه من خلاف فنكفيكه،فقال لهم أبو طالب قولاً دقيقاً وردهم رداً جميلاً فانصرفوا عنه ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه يظهر دين الله ويدعو إليه[٤] ولا يخاف في الله لومة لائم مقتنعا بما يفعل راضيا بما سيلاقي في تبليغ هذا الدين من إيذاء وتعذيب وتحقير وإهانة من قوم تبلدت مشاعرهم وأحاسيسهم عن معرفة الصواب .

ولما رأت قريش أن محمدا يمضي قدماً في تبليغ دعوته ولا يهتم بما هم يريدونه حاولوا مرة أخرى في أن يعودوا إلى عمه أبي

---

(٣) السيرة النبوية .الشيخ عماره محمد عماره صـ٦١

(٤) سيرة ابن هشام جـ ١ صـ ٢٦٥

طالب لينظروا ماذا سيفعل أبو طالب مع ابن أخيه.هل هـــو راض عما يحدث ويدور أمامه .؟ أم هو غير راض لكنه لم يستطع إيقـلف ابن أخيه.؟

٣-عودة الوفد إلى أبي طالب

يقول ابن الأثير"لما ظهر أمر رسول الله ﷺ في قريش بدأت قريـش تتشاور في أمره وتتضايق مما يفعل ﷺ فمشوا إلى أبي طالب مـرة أخرى.فقالوا :يا أبا طالب إن لك فينا سنا وشرفا وإنا قد اســتنهيناك أن تنهي ابن أخيك فلم تفعل وإنا والله لا نصبر على هذا من شـــتم آلهتنا وآبائنا وتسفيه أحلامنا حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلـك حتى يهلك أحد الفريقين أو كما قالوا.ثم انصرفوا عنه"[٥] عظم ذلـك على أبي طالب لأن قومه أظهروا عداوتهم ولم تطب نفسه أن يترك رسول الله ﷺ ويخذله.فبعث إلى رسول الله ﷺ وأخبره بمـــا قـــالت قريش فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه بدو أي ظـــهر لـــه رأي وأنه خذله وقد ضعف عن نصرته،وقف النبي ﷺ أمام عمه بعد مـــا سمع ما قاله عمه له.ثم قال"والله لو وضعوا الشـــمس فـــي يمينـــي والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظـــهره الله أو أهلك دونه".ثم بكى رسول الله ﷺ .فلما ولي ناداه عمه فـأقبل عليه وقال:اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فوا لله لن أسلمك لقريش أبدا.

---

(٥) الكامل في التاريخ لابن الأثير صـــ٤٣ بتصرف

علمت قريش أن أبا طالب لا يخذل رسول الله ﷺ فأخذوا عمارة بن الوليد أحسن فتيان قريش وأجملهم فقالوا يا أباطالب هذا عمارة بن الوليد أحسن فتيان قريش فخذه فلك عقله ونصرته واتخذه ولدا وأسلم لنا ابن اخيك الذي سفه أحلامنا وخالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك نقتله فإنما رجل برجل.فقال والله لبئس ما تسومونني.تعطوني ابنكم أغذوه لكم.وأعطيكم إبني تقتلونه.هذا والله لا يكون أبدا .

فقال المطعم ابن عدي بن نوفل بن عبد مناف والله .لقد أنصفك قومك وما أراك تريد أن تقبل منهم.فقال أبو طالب:والله ما أنصفتموني ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم على.فاصنع ما بدا لك.(٦)

عند ذلك اشتد الأمر على قريش وتنابذ القوم واشتدت قريش على من في القبائل من الصحابة الذين أسلموا فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ومنع الله رسوله بعمه أبي طالب .

من هنا بدأ المشركون يخططون لرسول الله ﷺ ولأصحابه حتى يبعدوهم عما هم فيه فاجتمعوا ليتخذوا قرارا حاسما لقمع هذا الدين الجديد .

---

(٦)السيرة النبوية للشيخ /عماره محمد عماره صـ٦٣

٤ـ إتخاذ قرار الإيذاء والتعذيب

لما رأت قريش أن محمدا ﷺ لا يصرفه عن دعوته هذه شيء فكروا لقمع هذه الدعوة بأي وسيلة يعرفونها فبدءوا بالسخرية والتحقير والإستهزاء والتكذيب والمعارضة بأن كلامه الذي يأتي به إنما هو من كتب الأولين.لكن كل هذه الأشياء كانت لا تهم الرسول ﷺ وأصحابه الذين اتبعوه فلما لم يجدوا لهذه الوسائل منفعة إجتمعوا مرة أخرى وكونوا لجنة أعضاؤها خمسة وعشرون رجلا من سادات قريش رئيسها أبو لهب وبعد المشاورة والمداولة إتخذت اللجنة قراراً حاسماً ضد الرسول ﷺ وضد أصحابه الذين أمنوا معه واتبعوه وعزروه ونصروه رضوان الله عليهم أجمعين.وكان قرار اللجنة هو الإيذاء والتعذيب وصمموا على تنفيذه.ويمضي رسول الله ﷺ في تبليغ دعوته إلى الله تعالى ويمضي المشركون في رفض دعوته والإستهزاء به والسخرية منه.فيسليه الله تعالى في موكب إخوانه الأنبياء والرسل الذين استهزئ بهم قبله ثم دارت الدائرة على المستهزئين.فليصبر فإن الدرب واحد والعقبة له"قال الله تعالى﴿**وَلَقَدْ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ(١٠)**﴾ [٧]

---

[٧] سورة الأنعام الآية رقم١٠

وقال تعالى ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ(٤)﴾ [٨] ويشتد حزن الرسول ﷺ من رفض المشركين للدعوة الإسلامية ومن تكذيبهم له وهو يعلم أنه صادق ، وكانوا هم أنفسهم يسمونه الصادق الأمين قبل مبعثه ، وقالوا له قبل أن يبادئهم بالدعوة ويجاهرهم بضلال معتقداتهم " ما جربنا عليك كذباً قط " فيسليه ربه بأن القوم يجحدون الحق وينكرون آيات الله الواضحة وليس ذلك تكذيباً لك . وإذا كذبوك فلست أول من كذبه قومه من الرسل بل سبقك إخوانك في نفس الطريق فكذبهم قومهم وصبروا حتى نصرهم الله وعليك أن تقتدي بهم فتصبر كما صبروا وإذا لم تصبر فماذا تستطيع أن تفعل لتأتيهم بما يطلبون من الآيات وما الآيات بجالبة لهم الهدى وإنما الله هو الهادي .

ويخبره الله تعالى أن القوم ليسو بأحياء حتى يستجيبوا لدعوتك وإنما هم موتى – أموات القلوب – والموتى مرجعهم إلى الله فيجازيهم قال الله تعالى ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ(٣٣)وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ(٣٤)وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلا

---

[٨] سورة فاطر الآية رقم ٤

تَكُونَنَّ مِنْ الْجَاهِلِينَ(٣٥) إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمْ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ(٣٦)﴾[٩]

ويستمر الرسول الكريم ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى مقيماً على ذلك الحجج الدامغة لكنهم يصرون على كفرهم وعنادهم لا ينتفعون بسمعهم ولا أبصارهم ولا عقولهم ويأمره الله بأخذ العفو وأن يأمر بالمعروف ويعرض عن الجاهلين[١٠] . قال الله تعالى **﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ(١٩٨)خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ(١٩٩)﴾** [١١]

فلما يئس المشركون من استمرارية الرسول ﷺ في دعوته لدينه الجديد بدأو ينفذون قرارهم الذي اتخذوه وصمموا على تنفيذه.

---

[٩] سورة الأنعام الآيات رقم ٣٣-٣٦

[١٠] الجهاد في سبيل الله د: عبد الله بن أحمد الفادري جـ١ صـ١٥٦ دار المنارة جدة.

[١١] سورة الأعراف الآيات رقم ١٩٨-١٩٩

إيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم :

تفننت قريش في إيذاء الرسولﷺ فلم يراعوا صلـــة القرابـــة بـل تخطوها وتخطوا معها حدود الإنسانية .

روى عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال " **بينما كان النبي يصلي في حجر إسماعيل إذا أقبل عقبه بن أبي معيط فوضع ثوبـــه فـــي عنقه فخنقه خنقاً شديداً ، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ،ودفعـــه عن النبي ﷺ وقال " أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله "**[١٢]

كما روى أبن عمر قائلاً "**بينما النبي ﷺ ساجداً وحوله ناس مـــن قريش جاء عقبه بن أبي معيط بسلا جزور فقذفه على ظهر النبـــي ﷺ فلم يرفع رأسه فجاءت فاطمة رضى الله عنها فأخذته من على ظهره ودعت على من صنع ذلك** [١٣]

وروى أيضاً الإمام الطبري وإبن إسحاق : أن بعضهم عمـــد إلـــى قبضته من التراب فنثرها على رأسه وهو يسير في بعـــض طـــرق مكة وعاد إلى بيته والتراب على رأسه . فقامت إليه أحـــدى بناتـــه تغسل عنه التراب وهى تبكي ورسول الله ﷺ يقول لها يا بُنَيَّتـــي لا تبكي فإن الله ما نع أباك[١٤] . إلى غير ذلك مـــن صـــور الإيـــذاء

---

[١٢] رواه الإمام البخاري

[١٣] رواه الإمام البخاري جـ١ صـ ٥٤٣

[١٤] تاريخ الطبري جـ٢ صـ ٣٤٤، سيرة ابن هشام جـ ١ الصهيونية ـ ١٥٨

والتعذيب التي اتخذوها تجاه الرسول ﷺ . والرسول ﷺ يستمر في تبليغ دعوته ولا يهتم بهذه الفئة الباغية التي لم تعرف عن هذا الدين الجديد شيء.

علمت قريش أن محمداً لن يتراجع عن دعوته مهما فعلوا. فقام عتبة بن ربيعة وكان سيداً ذا بصيرة ورأى في قومه . فقال يا معشر قريش . ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً . لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء حتى يكف عنا وعن آلهتنا .؟ فقالوا :بلى يا أبا الوليد ، قم إليه فكلمه فجاء عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ .فقال .يا ابن أخي ، إنك منا حيث قد علمت من الشرف في العشيرة والمكانة في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم: فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها .

فقال له رسول الله ﷺ قل يا أبا الوليد فإني أسمع . قال يا ابن أخي.إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك أموالنا. وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك. وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا . وإن كان هذا الذي يأتيك رأيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه . فقال له رسول الله ﷺ . أفرغت يا أبا الوليد.؟ قال نعم : قال: فاسمع مني ثم قال:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حم(١)تَنزِيلٌ مِنْ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(٢)كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ(٣)بَشِيرًا وَ نَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ(٤)وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ(٥)قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوه وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ(٦)الَّذِينَ لاَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ(٧)إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ(٨) قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ(٩)وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ(١٠)ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ(١١)فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ(١٢)فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ(١٣)﴾[١٥]

---

[١٥] سورة فصلت الآيات من رقم ١-١٣

لما وصل رسول الله ﷺ هذه الآية قام عتبه ووضع يده على فم رسول الله ﷺ وقال أناشدك أن تكف عن القراءة وذلك خوفاً مما سمعه من تهديد في الآيات.

ثم عاد عتبه إلى أصحابه فلما جلس بينهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال:ورائي أني سمعت قولاً ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة يا معشر قريش : أطيعوني وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم . فقالوا . سحرك يا أبا الوليد بلسانه : قال : هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم .

ولقد روى الإمام الطبري وابن كثير وغيرهما أن نفراً من المشركين فيهم الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل جاءوا فعرضوا على رسول الله ﷺ أن يعطوه من المال حتى يكون أغناهم وأن يزوجوه أجمل أبكارهم على أن يترك شتم آلهتهم وتسفيه عاداتهم فلما رفض إلا الدعوة إلى الحق الذي بعث به.قالوا:فتعبد آلهتنا يوما ونعبد إلهك يوما فرفض ذلك فنزل قول الله تعالى﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ(١)لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ(٢)وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ(٣)وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدتُّمْ(٤) وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ(٥)لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ(٦)**﴾[١٦]

---

[١٦] سورة الكافرون كاملة

ثم إن قريشاً كرروا المحاولة معه مرة أخرى وجمعوا بعضهم وذهبوا إليه وعرضوا عليه المال والشرف والملك فرفض وقال لقد بعثني الله إليكم رسولاً وأنزل عليّ كتاباً وأمرني أن أكون بشيراً ونذيراً فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم. فطلبوا من رسول الله ﷺ إن كان صادقاً فليسأل ربه أن يسير لهم هذه الجبال ويفجر لهم أنهاراً مثل أنهار العراق والشام ويبعث لهم من آبائهم قصي بن كلاب يسألوه عما تقول إن كان حقاً اتبعناك . وأن يجعل لنا ربك جناناً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة. وإن يغنيك ربك . فقال لهم رسول الله ﷺ . ما أنا بفاعل. وما أنا الذي يسأل ربه هذا فقالوا مستهزئين . لقد بلغنا أن الذي يعلمك يا محمد رجل في اليمامة يقال له "الرحمن" وإنا لن نؤمن بالرحمن أبداً وإنا لن نتركك تنشر دينك حتى نهلك أو تهلك ثم قاموا وانصرفوا.

وإن المتأمل في طلبات المشركين يجد أنهم كانوا يستهزئون في طلباتهم ولو علم الله صدق الطلب وحسن النية وأنهم مقبلون على الدخول في الإسلام لحقق لهم ما طلبوه وزيادة[١٧] هكذا كان مشركوا قريش يفعلون مع رسول الله ﷺ يقدمون له الإيذاء وهو يقدم لهم الدعاء فكان يقول : اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون " كما

---

[١٧] السيرة النبوية للشيخ / عماره محمد عماره صـ٦٦ ، صـ ٦٧ بتصرف

أنهم لم يكتفوا بإيذاء رسول الله ﷺ .بل وصل بهم الحد إلى ايـــذاء كل من آمن معه حتى يبعدوهم عن دينهم الذي تغلغل فـــي قلوبـــهم وسوف نذكر جانباً من إيذاء المشركين لأصحـــاب رســول اللهﷺ ليتبين للقاريء الكريم ما لاقاه الرسول ﷺ وأصحابه في سبيل نشـر الدين الإسلامي الذي هو بين أيدينا الآن نفرط فيه ونترك تعاليمـــه وقيمه وآدابه . وتمسكنا بتعاليم وقيم وأداب الغرب الذين يريـــدون الإنحلال الخلقي للمسلمين جميعاً في أرجاء الأرض . وحتى يتبيـن للقارئ أيضا أن الرسولﷺ ما رفع السلاح في وجه عُبَادِ الأصنـــام إلا بعد ما اتخذ معهم كل الوسائل المقنعة لكنهم آذوه واضطـــهدوه هو ومن آمن معه أشد الإيذاء والإضطهاد وأخرجوهم من ديـــارهم تاركين أموالهم وذويهم وكل متعلقاتهم .

٦ـ إيذاء أبو بكر الصديق :

أول ما أوذي في سبيل الله بعد رسول الله ﷺ أبـــو بكـــر الصديـــق رضى الله عنه آذاه المشركون على إيمانه إيذاءً شديداً حتى خـــرج من مكة مهاجراً إلى أرض الحبشة﴿ روى البخاري في صحيحـــه عن عائشة رضى الله عنها قالت : لم أعقل أبوي إلا وهما يديـــان الدين ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النـــهار بكرة وعشيا . فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكـــر مـــهاجرا نحـــو أرض الحبشة حتى بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القـــارة . فقال ، أين تريد يا أبا بكر ، فقال أبو بكر أخرجني قومي فـــأريد

أن أسيح في الأرض وأعبد ربي فقال ابن الدغنة مثلك لا يخرج . إنك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى الضيف. وتعين على نوائب الحق . فإنا لك جار ارجع واعبد ربك ببلدك، فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش فقال لهم إن أبا بكر لا يخرج مثله أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة . وقالوا لابن الدغنة مر أبا بكر فليعبد ربه في داره ، فليصل فيها . وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به. فنحن نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر . فلبث أبو بكر بذلك إلى أن بنى مسجداً في وسط داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فيتقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يعجبون منه وينظرون إليه وكان أبو بكر رجلاً بكاءً لا يملك عينه إذا قرأ القرآن .

أفزع ذلك أشراف قريش من المشركين فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم .فقالوا : إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره فعل وإنْ أبي ألا أن يعلن بذلك فسله أن يرد عليك ذمتك . فإنا قد كرهنا أن نخفرك . ولسنا مقريين لأبي بكر الإستعلان قالت عائشة رضى الله عنها فأتي ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال قد علمت الذي عاقدت لك عليه فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترجع إليّ ذمتي فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت في رجل عقدت له

فقال أبو بكر . فإني أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله عز وجل.[١٨]

ولقد ذكر ابن كثير في البداية والنهاية عن خيثمة ابن سليمان الأطرابلسي بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت : لما اجتمع أصحاب النبي ﷺ وكانوا ثمانية وثلاثون رجلا ألح أبو بكر على رسول الله ﷺ في الظهور . فقال يا أبا بكر إنا قليل فلم يزل يلح حتى ظهر رسول الله ﷺ وتفرق الناس في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته . وقام أبو بكر في الناس خطيبا ورسول الله ﷺ جالساً فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين في المسجد فضربوهم ضرباً شديداً ووطيء أبو بكر وضرب ضرباً شديداً ودنا منه الفاسق عتبه بن ربيعه بنعلين مخصوفتين ويحرفهما لوجهه ونزا على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه فحملوه إلى بيته فلما أفاق قال ماذا فعل رسول الله ﷺ هل هو بخير ولم يهتم بالضرب الذي على وجهه[١٩] وكان أبو بكر يدافع عن رسول الله ﷺ دفاعاً شديداً روى أنه لما دخل عقبه بن أبي معيط على رسول الله ﷺ المسجد وخنقه ذهب إلى أبي بكر وقال له أدرك صاحبك . قالت أسماء بنت أبي بكر فخرج من عندنا وله غدائر أربع وهو يقول ويلكم أتقتلون

---

[١٨] أخرجه البخاري في صحيحه

[١٩] البداية والنهاية لابن كثير جـ٣ صـ٢٩ ، صـ٣٠ .

رجلاً أن يقول ربي الله فتركوا رسول الله ﷺ وأقبلوا على أبي بكر فرجع إلينا أبو بكر فجعل لا يمس شيئا من غدائره إلا رجع معه[٢٠].

ولقد روى الإمام على كرم الله وجهه حديث أخرجه البزار من رواية محمد بن علي عن أبيه أنه خطب فقال : من أشجع الناس ؟ فقالوا: أنت.فقال أما أنا ما بارزني أحد إلا انتصفت منه ولكنه أبو بكر لقد رأيت رسول الله ﷺ أخذته قريش هذا يجؤه وهذا يتلقاه ويقولون له أنت تجعل الألهة إله واحداً فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر يضرب هذا ويدفع هذا ويقول ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله. ثم بكي على ثم قال أنشدتكم الله أمؤمن آل فرعون أم أبو بكر ؟ فسكت القوم فقال على والله لساعة من أبي بكر خير منه. ذاك رجل يكتم إيمانه وهذا يعلن إيمانه[٢١]

---

[٢٠] فتح الباري جـ٧ بتصرف ييسر

[٢١] أبو بكر الصديق أفضل الصحابة / محمد عبد الرحمن قاسم

٧ـ تعذيب المستضعفين من المسلمين :

١ـ بلال بن رباح الحبشي

كان مولى أبي بكر وكان أبوه من سبي الحبشة وأمه حمامة سبية أيضاً وهو من مولدي السراة وكنيته أبو عبد الله فصار بلال لأمية ابن خلف الجمحي فكان إذا حمت الشمس وقت الظهيرة يلقيه في الرمضاء على وجهه وظهره ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة ويقول ، لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللآت والعزى فكان ورقة بن نوفل يمر عليه وهو يعذب ويقول أحد أحد فيقول ورقة أحد أحد والله يا بلال ثم يقول ورقة لأمية ﴿ أحلف بالله لأن قتلتموه على هذا لأجعلن قبره موضوع حنان أي موضع رحمة للناس يتمسحون به تبركا كما يتمسح بقبور الصالحين الذين قتلوا في سبيل الله من الأمم الماضية فيرجع ذلك عاراً عليكم وسبة عند الناس وكان هذا الشيء موجوداً قبل الإسلام فلما جاء الإسلام أبطله. وكان أبو بكر الصديق يمر عليه فيجده يعذب فيقول لأمية بن خلف الجمحي ألا تتقي الله في هذا المسكن.؟فكان يقول أمية له أبعد عنه فأنت الذي أفسدته علينا فقال له أبو بكر يا أمية عندي غلام على دينك أسود أجلد من هذا أعطيكه به قال قبلت فأعطاه أبو بكر غلامه وأخذ بلال وأعتقه فهاجر وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ـ ﷺ (٢٢)

---

(٢٢) السيرة النبوية للشيخ / عمارة محمد عماره صـ ٧٠

٢ـ عمار بن ياسر:

أبو اليقظان العنسي.أسلم هو وأبوه وأمه وأسلم قديما ورسول الله ﷺ في دار الأرقم ابن أبي الأرقم بعد بضعة وثلاثين رجلا،أسلم هو وصهيب في يوم واحد وكان ياسر حليفا لبني مخزوم فكانوا يُخْرِجُونَ عمارا وأباه وأمه إلى الأبطح إذا حميت الرمضاء يعذبونهم بحر الرمضاء فمر بهم النبيﷺ فقال:صبراً آل ياسر فان موعدكم الجنة فمات ياسر في العذاب فأغلظت امرأته سمية القول لأبي جهل فطعنها في قلبها بحربة كانت في يديه فماتت فكانت أول شهيدة في الإسلام وشددوا العذاب على عمار بالحر تارة وبوضع الصخر على صدره أخرى وبالتغريق أخرى.فقالوا لا نتركك حتى تسب محمدا وتقول في اللات والعزى خيرا.ففعل فتركوه فأتى النبي ﷺ يبكي فقال ما وراءك يا عمار؟قال شر يا رسول الله وحكى للرسول ما حدث له فقال الرسول ﷺ كيف تجد قلبك؟قال أجده مطمئنا بالإيمان فقال يا عمار إن عادوا فعد لهم فأنزل الله تعالى قوله﴿ **مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**(١٠٦)[٢٣]﴾

---

[٢٣] سورة النحل الآية رقم ١٠٦

وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وقتل بصفين مع علي وقد جاوز التسعين قيل بثلاث وقيل بأربع[٢٤]

٣ـ خباب بن الأرت

كان أبوه سودانيا من كسكر فسباه قوم من ربيعة،وحملوه إلى مكة.فباعوه إلى سباع ابن عبد العزى الخزاعي حليف بني زهرة وسباع هو الذي بارزه حمزة يوم أحد وخباب تميمي وكان إسلامه قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم فأخذه الكفار وعذبوه عذابا شديدا فكانوا يعرونه ويلصقون ظهره بالرمضاء ثم بالرضف أي الحجارة المحماة بالنار على الرغم من ذلك لم يجبهم ويتراجع عن دينه وهاجر وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ونزل الكوفة ومات سنة ستة وثلاثون.

٤ـ صهيب بن سنان الرومي

لم يكن روميا وإنما نسب إليهم لأنهم سبوه وباعوه وقيل لأنه كان أحمر اللون كناه رسول الله ﷺ أبا يحيى وكان ممن عذب في سبيل الله عذاباً شديداً ولما أراد الهجرة منعته قريش فافتدى نفسه بماله كله.وجعله عمر بن الخطاب عند موته يصلي بالناس إلى أن يستخلف بعض أهل الشورى وتوفي بالمدينة سنة ثمان وثلاثين وعمره آنذاك سبعون سنة.

---

[٢٤] الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ٢ صـ ٤٦

٥ـ عامر بن فهيرة

كان مولى الطفيل بن عبد الله الأزدي وكان الطفيل أخا عائشة لأمها أم رومان أسلم قديما وكان من المستضعفين يعذب في الله فلم يرجع عن دينه واشتراه أبو بكر وأعتقه فكان يرعى غنمه وكان يروح بغنم أبي بكر إلى النبي ﷺ لما كان في الغار وهاجر معهما إلى المدينة يخدمهما وشهد بدرا وأحد واستشهد يوم بئر معونة وله أربعون سنة.ولما طعن قال فزت ورب الكعبة ولم توجد جثته لتدفن مع القتلى فقيل إن الملائكة دفنته كما أوذي في سبيل الله تعالى أبوفكيهة واسمه أفلح وقيل يسار وكان عبدا لصفوان ابن أمية بن خلف الجمحي أسلم مع بلال وأوذيت أيضا لبينة جارية بني مؤمن ابن حبيب بن عدي بن كعب التي أسلمت قبل إسلام سيدنا عمر رضى الله عنه وكذا زنيرة.كانت لبني عدي والنهدية مولاة لبني فهد وأم عنيس التي كانت أمه لبني زهرة فهؤلاء جميعا عذبوا وكان سبب تعذيبهم أنهم نطقوا الشهادتين ، نطقوا كلمة الحق رحمهم الله جميعا وحشرنا معهم ويوم القيامة آمين.[٢٥]

ولما ظهر الإيذاء والتعذيب واستفحل المشركون على الذين أسلموا ودخلوا في دين الله ورسول الله ﷺ ماض على ما هو عليه يظهر دين الله من غير مواناة ولا تقصير.والمسلمون يزيدون ولا ينقصون ولقد وصل الإسلام وانتشر في القبائل فبدأ **عبّاد** الأصنام

---

[٢٥] السيرة النبوية للشيخ / عماره محمد عماره صـ ٧٢

يقاطعون محمداً وأهله ومن آمن معه ويحاصرونهم معتقدين أن هذا الحصار سيؤدي بمحمد وأصحابه للهلاك وبهذا يكونوا قد تخلصوا من محمد وأصحابه.لكن عُبَّادَ الأصنام لا يدرون أنهم بهذه المقاطعة خدموا الدين الإسلامي فلقد كانت هذه المقاطعة سببا في أن تسامع العرب بالإسلام ودعوته وأن تصل الدعوة الإسلامية إلى القبائل في أماكنهم،فمن اهتدى فقد اهتدى لنفسه ودعا غيره بالهداية،ومن يؤمن تحدث مع غيره بما آمن به فتكون الدعوة قد علم بها من ارتضاها ومن لم يرتضها،لقد حملها جميعهم،ورب حامل فقه لا فقه له.ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه.

"جاء الناس إلى مكة يستمعون إلى النبي ممن صفت قلوبهم للإيمان،وعبَّادُ الأصنام لهم بالمرصاد يحاولون أن يصدوهم عن سبيل الله.ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا"[٢٦]

وفي تلك الأوقات الشديدة ينتقل إلى الرفيق الأعلى عم النبي محمدﷺ "أبو طالب"وزوجته أم المؤمنين خديجة بنت خويلد"فقد كانا يواسيانه،ويشدان أزره يمنعان عنه الأذى أن يؤثر في نفسه وقد كان رسول اللهﷺ يرى فيهما الحب الصادق له لذا دخل الحزن قلب النبي ﷺ لموتهما فقد كان يحبهم لما رأى منهم من حنان وعطف ومواساة.

---

[٢٦] خاتم النبين للشيخ محمد أبو زهرة جـ١ صـ ٥٥٧ بتصرف

وبوفاتهما اشتد الإيذاء على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه ممـــا أدى إلى أن أناساً من الذين أسلموا تجهزوا للخروج من ديارهم تـــاركين ما وراءَهم فراراً بدينهم فكانت هذه هي أول هجرة من مكة وكـــان عدد المهاجرين عشرة رجال وخمس نسوة وهم-عثمان بن عفـــان وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ وأبو سلمة وزوجه أم سلمة وأخوه لأمه أبو سبرة بن أبي رهم وزوجه أم كلثوم وعـــامر بـــن ربيعـــة وزوجه ليلي وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وزوجه سهلة بنت سهل وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن مظعون ومصعب بـــن عمـــير وسهل بن البيضاء والزبير بن العوام[٢٧].

وساروا على بركة الله متجهين إلى الحبشة تاركين كل ما يملكـــون وراء ظهورهم لأجل دينهم الذي اختلط بدمائهم ولما وصلـــوا إلـــى بغيتهم أقاموا آمنين من أي أذى يلحق بهم من المشركين ولم يبـــق مع النبي عليه الصلاة والسلام إلا القليل ثم خرج جعفر بـــن أبـــي طالب،وتتابع المسلمون،حتى اجتمعوا بأرض الحبشة.منهم من خرج بأهله ومنهم من خرج بنفسه حتى وصل عدد من هاجر مـــن مكـــة إلى الحبشة ثلاثة وثمانين رجلا ولم تكن الغاية الوحيدة من الـــهجرة إلى الحبشة الخلاص من أذى قريش بل كانت مقترنة بالدعوة إلـــى الإسلام والتخفيف من هموم النبي ﷺ[٢٨]

---

[٢٧] نور اليقين صـــ ٥٤

[٢٨] السيرة النبوية .لأبو الحسن الندوي صـــ ١٣١

ولم يكتف عُبَادِ الأصنام بخروج بعض المسلمين إلى الحبشة من ديارهم إلا أنهم تضايقوا من خروجهم لأنهم اطمأنوا في أرض الحبشة التي هاجروا إليها.

فبعثوا وراءهم عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة ومعهما هدايا قيمة إلى النجاشي وقدماها إليه وإلى بطارقته وطلبا إعادة المهاجرين إلى أهليهم ولكن النجاشي قال والله لا أسلمهم إليكم حتى أدعوهم وأسمع منهم فلما حضروا وسألهم عن دينهم تكلم عنهم جعفر بن أبي طالب مبيناً ما كانوا عليه في الجاهلية وما دعاهم إليه الإسلام.وجاء في قوله.كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار...حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته،ودعانا إلى توحيد الله،وأمرنا بالصلاة ... فصدقناه وآمنا به،فعادانا قومنا وأرادوا فتنتنا عن ديننا فلما قهرونا وظلمونا خرجنا إلى بلدك واخترناك على من سواك ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك ثم تلا عليه آيات من سورة مريم فبكى النجاشي وقال"إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة"ثم رد الهدايا إلى رسولي قريش وقال لهما انطلقا فوا لله لا أسلمهم إليكما أبدا" [٢٩] يا سبحان الله لقد كان المشركون عُبَّاد الأصنام يترقبون كل خطوات المسلمين حتى يقفون

---

[٢٩] السيرة النبوية للمؤلف صـ ٧٥

في وجهها ولكن الله تبارك وتعالي بقدرته يؤيد الذين آمنوا ويدافع عنهم

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنْ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ(٣٨)﴾ [٣٠] ويا للعجب من عُبَّاد الأصنام ألم يكتفوا بالإستهزاء والسخرية والتحقير والإيذاء والتعذيب الذي ناله المسلمين منهم.؟... لم يملأ كل ما فعلوه في المسلمين عيونهم .فراحوا وراء المسلمين الذين تركوا ديارهم وأموالهم وذهبوا إلى مكان آمن حتى يعبدون الله فيه وهم مطمئنون القلب حتى يضايقوهم.

من أجل ذلك كله كان لا بد من اتخاذ موقف حاسم مع عُبّاد الأصنام ليكون هذا الموقف رادعا لهم فلا يقتربون إلى المسلمين بعد ذلك فراح المسلمون إلى رسول الله ﷺ يطلبون منه أن يأذن لهم بالقتال فكان النبي يرفض لأنه لم يؤمر بعد بقتال المشركين من رب السماوات والأرض.ثم يرفع يديه إلى السماء داعيا المولى عز وجل لهم بالهداية قائلا"اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون".

الله أكبر.ما هذا التحمل.؟ما هذا الصبر.؟إنه تحمل وصبر أفضل مخلوق على ظهر الوجود.ولسائل يسأل.لماذا لم يدافع النبي عن نفسه وقومه الذين آمنوا معه وذلك بقتال المشركين الذين تفننوا في وسائل الإيذاء.؟تقول إن الإجابة على هذا التساؤل من عدة وجوه:

---

[٣٠] سورة الحج الآية رقم (٣٩)

أولا: إن النبي ﷺ لم يكن قد أمر بقتال المشركين بعد.لذا كان موقفه موقف المتحمل الصابر على الإيذاء والتعذيب.

ثانيا: إن قوة المسلمين لم تكن قد اكتملت بعد حتى يدافعوا عن أنفسهم بالقتال.فلو قاتل المسلمون المشركين في ذلك الوقت الذي لم تكتمل فيه قوة المسلمين ولم يؤمروا بقتال من قبل المشرع والمقنن لهذا الدين لهزموا شر هزيمة من المشركين.لذا كان النبي ﷺ يصبر ويتحمل الأذى ويأمر أصحابه رضوان الله عليهم أن يصبروا ويتحملوا الأذى ولهم الجنة على تحمل الأذى ويمر على آل ياسر يقول لهم صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة.ويدعو للمشركين بالهداية.

ثالثا: أن النبي ﷺ كان نموذجاً بشرياً يحتذي به فيتعلم منه كل من يتصدى للدعوة أن يكون صابراً في سبيل نشرها وهذا ما كان في رسول الله ﷺ "قال الله تعالي ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾ [٣١]

لهذا كله كان النبي يتحمل الأذى من قومه ويصبر على أذاهم ويرحمهم لأنه يعلم جيداً أنهم لا يعلمون حقيقة هذا الدين وحقيقة الله ورسوله ﷺ فكان دائما يقدم النصيحة لمن آمن معه أن يصبر ويتحمل فسوف ينصره الله تبارك وتعالى وبذلك أيضا يرسخ النبي

---

[٣١] سورة آل عمران رقم ١٥٩

في أصحابه مبدأ إسلامياً هاماً وهو مقابلة الإساءة بالإحسان والعفو عن المسيء وهذا ما ظهر في عديد من مواقف الرسول ﷺ وأصحابه مع المشركين ومع بعضهم البعض وتمر الأيام والرسول ﷺ يدعو لدينه والمشركون يحاولون بشتى السبل إيقاف هذا الدين.ويمضي الرسول في دعوته التي أمر بتبليغها وهو غير آبه بما سيلقاه من صدود وعناد حتى من أقرب الناس إليه لأن مهمته تتلخص فيما يلي :

١-التنديد بالوثنية والمعتقدات الباطلة التي تتنافى مع وحدانية الله تعالى.

٢-التأكيد المستمر على فساد النظم الإجتماعية التي رسخت في مفاهيم الناس وكأنها الأمر الصحيح وما عاداها هو الباطل .

٣- العمل الدؤوب على نشر الدعوة في كل مكان وبشتى الوسائل فلو لم تنجح وسيلة لجأ إلى الأخرى ليؤكد للمدعوين في عصره وللدعاة من بعده أن الداعية لا يمل ولا يكل ولا يتوانى لحظة من ليل أو نهار في التفكير في الدعوة والمضي قدما في سبيل نشرها وتبليغها[٣٢]

هكذا كان النبي ﷺ لا يألوا جهداً في توصيل دعوة الله الى العرب مهما كلفه ذلك الأمر . فواجب الدعاة اليوم أن يجتهدوا في تبليغ

---

[٣٢] عالمية الدعوة الإسلامية والتحديات المواجهة لها في الفترة المكية للدكتور:عماد عماره صـ ١٧٦

الدعوة إلى الله تعالى ولا يقصروا في أداء واجبهم الذي كلفوا بـــه وحملوه على عاتقهم ولا يخافون في الله لومة لائم وعليهم أن يقتدوا بسيرة الرسول محمد ﷺ وأصحابه الكرام الذين صبروا على الإيذاء والتعذيب الجسدي والإستيلاء على الأموال في سبيل نشـــر الديـــن الإسلامي الحنيف .

ولم يكتف عبّاد الأصنام بما فعلوه مـــن إيـــذاء وتعذيـــب وتكذيـــب وسخرية للرسول ﷺ وأصحابه وإنما تآمروا على رسول الله ﷺ أن يقتلوه ويستريحوا منه لأن دعوته بدأت تنتشر فـــي كـــل مكـــان . فاجتمع رؤساء الكفر وقاداته في دار الندوة وهى دار قصـــي بـــن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها .

اجتمعوا يتشاورون في أمر محمد رسول الله ﷺ . فقال قائل منـــهم نخرجه من أرضنا حتى نستريح منه فرفضوا هذا الرأي وقـــالوا إذا خرج اجتمعت حوله الجموع لما يرون من حلاوة منطقه وعذوبـــة لفظه .فقال آخر نحسبه حتى يدركه ما أدرك الشعراء من قبل مـــن الموت فرفضوا أيضا هذا الرأي وقالوا إذا عرف ذلـــك أصحابـــه جاءوا لتخليصه وربما جر هذا علينا من الحرب ما نحن في غنـــى عنه .فقال طاغيتهم بل نقتله ولنمنع بني أبيه من الأخذ بثأره . فقالوا كيف ؟ قال .نأخذ من كل قبيلة شاباً جلداً يجتمعون أمام داره فـــإذا خرج ضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقـــدر بنو عبد مناف على حرب قريش كلهم بل يرضون بالدية . فـــأقروا

هذا الرأي . هكذا خطط ودبر المشركون لقتل محمد ﷺ هذا مكرهم لكن مكر الله وتدبيره وتخطيطه أقوى مما خططوا ودبروا . ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ(٣٠)﴾ [٣٣]

أخبر الله نبيه محمد ﷺ عن طريق أمين الوحي سيدنا جبريل عليه السلام . بما خططه ودبره عبَّاد الأصنام وأمر الله حبيبه محمداً أن يهاجر من مكة إلى المدينة المنورة فجهز النبي ﷺ نفسه وأخبر صديقه الحميم أبو بكر الصديق وكان أبو بكر الصديق قد أعد راحلتين ثم سارا على بركة الله متجهين إلى المدينة المنورة . وقد حدث في أثناء هجرة النبي الى المدينة تأييد كبير من الله تبارك وتعالى للرسول وصاحبه تحدث عنها كُتاب السير والتاريخ بإسهاب فمن أراد المزيد فليرجع إليها في مظانها الصحيحة وسيقف على حقيقة ما لاقاه النبي ﷺ وصاحبه أثناء رحلته من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة . وسيجد فيها العديد من العبر والعظات والآيات المحكمات التي تؤكد مدى تحمل الرسول ﷺ لما لاقاه في سبيل تبليغ الدعوة الإسلامية ومدى عناية الله له في كل موقف من مواقف حياته .

---

[٣٣] الأنفال الآية رقم ٣٠

٨. نهاية الفترة المكية ونجاح الرسول فيها .

هكذا خرج النبي محمد ﷺ من مكة التي هى مسقط رأسه متجهاً إلى المدينة المنورة وإن من يتأمل في المدة التي قضاها النبي في مكة المكرمة يجد إنها امتازت بثلاث مميزات هى :

١- **الدعوة إلى التوحيد الخالص ومحاربة الشرك .**
٢- **الدعوة إلى الإيمان بالبعث واليوم الآخر .**
٣- **الدعوة إلى مكارم الأخلاق .**

ظل النبي محمد ﷺ يدعو إلى هذه الخصال الثلاث ثلاث عشرة سنة يبذل في سبيل تحقيق هذه الخصال الغالي النفيس ولقد كانت هذه المدة بكل ما فيها من تعذيب وتشريد وقتل إلا إنها كانت ناجحة بكل المقاييس في بناء الدولة الإسلامية وكان لا بد من وجود هذه الفترة وهذه المحن لأنها صنعت الرجال الذين وصفهم القرآن الكريم بقوله **﴿ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً(٢٣)﴾**[٣٤] وكان للإيمان باليوم الآخر أثره الواضح في نفوس أصحاب رسول الله ﷺ فإنهم باعوا الدنيا وعلموا أنهم قادمون إلى الله سبحانه وتعالى فعملوا الخير ورجوا الثواب من الله سبحانه وتعالى.

---

[٣٤] سورة الأحزاب الآية رقم ٢٣

ويمكن لنا أن نلخص نجاح رسول الله ﷺ الذي أحرزه في الفـــترة المكية بما يلي :

(١) بيان العقيدة الصحيحة وإظهار عجز الأصنام .

(٢) ترسيخ العقيدة الصحيحة في قلوب المؤمنيـــن ممـــا جعلـــهم يتحملون التنيكل والتعذيب في سبيلها .

(٣) نجاح الرسول ﷺ كنبي وقائد مما جعل القلوب تهوى إليـــه وتلتف حوله .

(٤) اقتناع الكفار أنفسهم بدعوة النبي ﷺ وما ردهم عن الإيمـلن به إلا الكبر والتعالي والغرور .

(٥) إنشاء جيل من الصحابة يحمي الدعوة ويدافع عنها ويشـــعر بالمسؤلية الكاملة تجاه نشر هذه الدعوة.

(٦) وضع بذرة صالحة لإنشاء دولة إسلامية لم يعـــرف العـــالم مثلها من قبل

(٧) الإلتفاف حول دستور الدولة الإسلامية الجديد والحفاظ عليـــه ويتمثل هذا الدستور في القرآن الكريم وتعاليم النبي ﷺ .[٣٥]

---

[٣٥] الحكومة الإسلامية عبد المؤمن حفيشه صـــ ٤٠